

لم تكن البلاغة العربية بمنأى عن سبر أغوار النفس الإنسانية والكشف عن مضامينها الفكرية وتذويب مكنوناتها الإبداعية من حسٍ أو عقلٍ في اتجاه محاكاة الواقع، فتاتي مجازية اللغة لتقود تلك المحاكاة فتتمرد على شباك واقعها الوجودي مشدبة مهذبة فتحذف وتزيد حتى تخترق أول خيوط ادلة ذلك الواقع.

ومن هنا جاءت فنية الخطاب البلاغي في اختزال دلالاته في إطار خلاق يكشف النقاب عن تعبد الخيال والمثال في محراب الفن والجمال، فالبلاغة فن له أصول وجذور امتدت على تاريخ اللغة العربية نفسها أبانت عن تعطش العرب وتزودهم الى فصاحة اللسان وبلاغة بيانه ما ارتوت وتزودت من ذلك. ولم يكن دارس العربية بعيداً عن ذلك الانجذاب والتأثير طوال ستة عشر قرناً وموروثنا الإبداعي في عصر ما قبل الاسلام يهز أوتارنا ويراقص أسماعنا فلا عجب ان نتفاعل معه ونغور في خزائن إبداعه فننهض بدراسته بما ينسجم وهويته الأصلية، فكانت رحلتي صوب البلاغة على انها رحلة نابعة من تعطشي لها منذ بواكير دراستي للعربية في مراحلها الأولية طفت فيها الملم من هنا وهناك تجارب أساتذتي الذين وجدوا في ذلك التعطش الى فنية البلاغة ومعايير تحليلها من منظور نقدي حسا ملموسا فتوج ذلك التوجه الأستاذ المشرف د. احمد إسماعيل النعيمي بتوجيهي الى دراسة بلاغية ((المبالغة والغلو)) لا سيما بعد ما أثار فضولي اختلاف كلمة النقاد والبلاغيين في ظاهرة المبالغة والغلو مما حفزني على الوقوف عند هذين المصطلحين وبيان دلالتهما وابعادهما في الخطاب الشعري.

ولما كان مدار هذه الدراسة وما انصبت عليه من أهداف هو الجمع بين التنظير النقدي والتحليل الفني لذا أثرت أن يكون شعراء المعلقات العشر الميدان التطبيقي والعملي لفنية المبالغة والغلو لخصوبة صورهم المكننفة للمبالغة والغلو فهي بلا شك جزء من صورهم البيانية ونسج من أساليبهم البلاغية فبحثت الدراسة عن بنى تلك الصور والأساليب البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية وجناس وطباق ... الخ وانعكاس معايير المبالغة والغلو في دلالتها عند شعراء المعلقات العشر الذين ارتقوا بمضمون الخطاب الشعري الى فضاء الإبداع على امتداد العصور والأمصار اللاحقة بهم.

ولابد من الإشارة إلى الدراسات التي سبقت هذه الدراسة والمعنية بالمبالغة تارة والغلو تارة اخرى، ولعل من اهمها رسالة الدكتوراه لرعد عبد اللطيف التي وسمت بـ((الغلو عند النقاد العرب الى القرن السابع الهجري)) اذ انصب اتجاه الباحث في الكشف عن الجانب التنظيري مكتفياً بالخطوط العريضة من الجانب التحليلي والفني دون ان يعنى بعصر او اتجاه خاص. إما هذه الدراسة -موضوع بحثي- فهي تعنى بالمبالغة مثلما تعنى بالغلو واحتواء دلالتهما وابعادهما في الخطاب الشعري وما ينبثق من ذلك الخطاب من صور وأساليب بلاغية عند

شعراء المعلقات العشر - كما اسلفت - والدراسة الاخرى التي صبت اتجاهها نحو (المبالغة في البلاغة العربية) لعالي سرحان القرشي اهتم باحثه بالتنظير النقدي والبلاغي دون ان تشفع وسائله تلك في الكشف عن الجانب التحليلي والفني فضلا عن الدراسة التي قدمها عبد العزيز شبلي التي وسمها بـ(المبالغة في الشعر العباسي) اذا انصبت وجهته في البحث عن أسبابها وتاريخها دون ان تعنى الدراسة باثرها في هذا الخطاب الشعري في إطار التنظير النقدي والتطبيق الفني والتحليلي بما نهضت به دراستنا هذه فكانت - بلا شك - هذه الدراسات النبراس الذي أضاء أول طريقي نحو دراسة عملية جادة تستهدف منذ بواكيرها المبالغة والغلو جملةً وتفصيلاً والبحث عن أبعادها ودلالاتها في الخطاب الشعري عند شعراء المعلقات العشر. ف جاء استقراؤنا المتواضع لدواوينهم ليصب في اتجاه رؤيتنا البلاغية لمنافذهم الفكرية، فالبلاغة لم تكن يوماً غاية مطلقة بقدر ما كانت وسيلة لامتطاء ذلك المطلق الذي توشحت به المبالغة والغلو، وبهذا تحدد الهدف وصوبت الغاية فكانت ثمرة ذلك الاستقراء والبحث ثلاثة فصول وخاتمة معززة بالمصادر والمراجع مسبوقة بتمهيد عكست فيه الرؤيتين اللغوية والنقدية للمبالغة والغلو حاولت فيه تكثيف أبعاد تلك الرؤية وإزالة السراب العالق فيها وما يجره من تبعات تضخم أبعاد الرؤية تارة او تقلل من حجمها وشانها تارة أخرى، فرجعت إلى أمهات المعجمات اللغوية والكتب النقدية والبلاغية التي كان لاصحابها الريادة في تطور المصطلحين وتوجيه دلالتهم وتحديد أبعادهما في الخطاب الشعري.

وجاءت الفصول الثلاثة لترجم الرؤيا النقدية تلك الى واقع ملموس عبر المنافذ الفكرية المستغرقة برأينا المتواضع لدواوين شعراء المعلقات الشعر.

فتقدم الفصل الاول ليمد جسور التجارب الوجدانية ما بين الأثر النفسي لها والمثير لذلك الأثر فوسمته بـ (صور المبالغة والغلو في التجارب الوجدانية) وتتبعنا مظان تلك التجارب على محورين : المبحث الاول :- جاء ليحدد العلاقة ما بين اسقاط رؤية الشاعر لمشاعره المتضاربة في تلك التجارب ومعايير المبالغة والغلو فالشاعر ابرز أحاسيسه وجسدها في جنس من التصوير فجر بركان آلامه وصبابته وهيامه وفراقه بشكل يوازيها حيث جرت مدامعه قريباً تتدفق منها المياه دون ان تنضب او ينتهي مجراها ولاسيما بعد ان فُرِيت وَجُدَّت تارة، ثم ارتدت بعد ذلك صورة اللؤلؤ الذي خانه سلك فتدحرج اللؤلؤ ما جرت عبراته ودموعه بعد ان خانه التجلد والصبر تارة اخرى.

وإما المبحث الثاني : فقد تتبعنا علة ذلك الأثر النفسي فوجدنا المثير لتلك المشاعر المجسدة ترحاً وفرحاً أي (المرأة) إذ (صور المبالغة والغلو في تصوير المرأة المثال) بوصفها بؤرة الانفعال النفسي فإذا بشاعر يخرج صورها الى ميدان الجمال والخلود.

إما الفصل الثاني فقد سرنا به الى ((صور المبالغة والغلو في وصف الطبيعة)) حاولنا فيه تحديد بنى الصور المكتنفة للمبالغة والغلو ولاسيما بعد ما امتزجت رؤيا الشاعر بأمه الطبيعة كلما أسدلت عليه الحياة من همومها وقسوتها فجاء المبحث الاول ((صور المبالغة والغلو في وصف الطبيعة الصامتة)) إذ شاطرته في صمتها من ليل بهيم وسماء غضبي وارض في وجوم مطبق تأملاته الداخلية أو النفسية حتى ذاب بها الشاعر توحداً ووجوداً مبالغاً وغلوً فيحذف ويزيد من تراكيب صورها في عمق دلالي زاخر بالمعطيات النفسية لدلالة المبالغة والغلو.

اما المبحث الثاني ((صور المبالغة والغلو في وصف الطبيعة المتحركة)) فقد حددت فيه أبعاد التركيب التصويري للمبالغة والغلو في وصف المثال الحيواني، إذ خرق الشاعر لتصويرها أنظمة وجودها وواقعيتها بما حازت من دلالات شاطرت الشاعر شجاعته وفروسيته في بث الهول والفرع في نفس الخصم، فإذا بالفرس التي تسابق الوحوش سرعة في الانقضاض على فريستها اوتهتضم الجياد فضلاً عن تشاطر الحيوانات الباقية والطيور حسية الشاعر في تجسيد مشاعره من هموم وضجر وقسوة ما بين رحلة تدوم على ظهر دابة في صحراء لاهبه جمرأ تاركا وراءه الأهل والأحبة إلى المجهول.

وجاء الفصل الثالث ليتم بناء الصور في إطار علاقة الشاعر بالمجتمع ((صور المبالغة والغلو في القيم الأخلاقية والفروسية)) حاولنا فيه كشف النقاب وتحديد العنصر الفاعل في المجتمع سلماً وحرماً، وبهذا توزع الفصل الثالث على مبحثين الاول:- ((صور المبالغة والغلو في القيم الأخلاقية)) إذ درست فيه اثر المبالغة والغلو في تشكيل النموذج الأخلاقي في السلم وتأثيره في مكونات المجتمع الأخلاقية سلباً أو إيجاباً من كرم وبخل وحلم وطيش وما الى ذلك من صفات، ارتقى بها الشاعر نحو المثال في إثراء دلالات المبالغة والغلو الهادفة نحو زرع الرغبة ثم انصبت دراستي في المبحث الثاني على ((صور المبالغة والغلو في قيم الفروسية)) فبحثت عن أبعاد المبالغة والغلو في إثراء دلالاتها نحو زرع الرهبة في نفس الخصم او الند ببلاغية عالية زاخرة بالادلة على خرق الوظيفة المجازية للغة الشعرية فكان الشاعر يغالي في انتقاء صور الوعيد فإذا بصور الشعرية اقرب الى الحرب النفسية في رهب الخصم والتقليل من مكان قوته.

فكانت تلك هي الفصول الرئيسية في مباحثها الفرعية التي قامت عليها دراستي وانتهى البحث بخاتمة حملت خلاصة ابرز نتائج الفصول الثلاثة تليها قائمة المصادر والمراجع.

هذا وكنت خلال هذه الرحلة البلاغية استجلي أمر كل مبهم وغامض أطوف في كل مصدر اذا ما تأبى وعصي علي معنى او فكرة حتى يهون الشارد العاصي، فيقرب مني خيال الشاعر او روية الناقد اللذين كانا زادي في هذه الرحلة المتوجهة صوب المبالغة والغلو الى



مضان شعراء المعلقات العشر، فكنت معهم في حل وترحال مشاركة إياهم أفراحهم واتراحهم، قيمهم ومبادئهم قوتهم وضعفهم.

ومن هنا فقد توجهت هذه الدراسة الى احتواء الأثر والمثير المنبثقين من دلالة المبالغة والغلو، ومن ثم تحديد ملامحهما البلاغية بإغناء أجزاء كل صورة من المبالغة والغلو بالبحث والتنقيب من روية بلاغية ونقدية.

فأمل أن تكون هذه الدراسة موضع ثقة أساتذتي الأفاضل فما أنا إلا جدول صغير يشق طريقه من امتداد بحور علومهم وخلقهم او قيثارة تعزف على أنغام معارفهم.

على ان درستنا هذه لم تخل من مشاق اعترضت طريقي واثقلت رحلتي من الضغوطات النفسية التي يعيشها الباحث العراقي في ظل المتاعب التي يعرفها القاصي والداني، ومع ذلك فقد كان نقول المتنبي اثر يتردد صدهاء في نفسي ((على قدر أهل العزم تأتي العزائم)) فاحاطني القرطاس والقلم وأمهات كتب البلاغة والنقد ودواوين الشعراء بالطمأنينة فكانت جميعاً نعم الأنيس او الجليس الذي شاطرنى صباحي وليلي في هذه الرحلة وفي ختام هذه الكلمة أتقدم بجزيل الوفاء والعرفان إلى الأستاذ المشرف د. احمد إسماعيل النعيمي الذي تكلف عناء الأشراف على هذه الرسالة ورفدها بكل ما من شأنه ان يجعلها بحثاً أكاديمياً يرى النور في محفل الحياة الجامعية، فمنحني أهم ما يتسلح به الباحث وهو يشق دربه العنيد الطويل (الثقة والأمل) لعبور الصعاب وتهوينها على البحث والباحثة فكان نعم الأستاذ والمربي الفاضل والأب الموجه فجزاه الله عني خيراً.

ومن باب الفضل والعرفان أتقدم بالامتنان إلى الأستاذ د. عبد الهادي خضير نيشان الذي غرس في نفسي الامل وسقاني من نبع خلقه وعلمه ففتح أمامي افاق البلاغة وسرها المكنون كما فتح لي باب مكتبته البلاغية العامرة به ان شاء الله فكان نعم العالم المتواضع فاشكر خلقه الكريم وعطفه الأبوي الرحيم.

ولا يفوتني ان أزجي شكري وتقديري الى الأستاذ د. حيدر لازم الذي غمر البحث والباحثة بالنصح والتوجيه وشجعني على امتطاء صعاب البحث جزاه الله عني جزاء الصادقين. كما اشكر د. عادل كتاب العزاوي على توجيهه بالنصح فأثقلت يداه بحمل ما لا تطيق من المصادر والمراجع فاشكر ثقته العالية فتمتع الله بالصحة والعافية وسدد خطاه الى الخير.

كما اشكر د. أنعام داود سلوم التي مهما تطاير شذا الكلمات الى مرسى معاني الشكر والتقدير لا يفيتها حقها فكانت لي مباركة واثقة من خطاي مشجعة لرؤيائي منذ بواكير عهدي بالعربية الى إتمام رحلة هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر والتقدير الى د. ثائر حسن الغرباوي فكان نعم الأخ والأستاذ الذي لم يبخل بنصيحة ولم يقطع رجاء السائلين لها .  
ومن دواعي اعتزازي واحترامي أتقدم الى الأساتذة الكرام رئيس لجنة المناقشة وأعضائها الكرام بالشكر والامتنان لتكرمهم على الباحثة والبحث بالرعاية والتوجيه لسد ثغرات الرسالة وتقويم ما زال به اللسان وشط به الفكر والجنان في غير موضعه.

كما أتوجه بالحب والعرفان الى عائلتي الصغيرة التي منحتني أعلى سنينها وثمار أتعابها ، فكانوا عيني اللتين أرى من خلالهما الطريق وظهيري الذي احتمي به ، الوالدة الغالية أطل الله عمرها - واخوتي الثلاثة: (ماجد - عادل - احمد) وسنا شمسي التي قاسمتني هموم البحث ومصاعبه الأخت الغالية سناء محمود جاسم.

وختاماً أسأل الله الباري سبحانه ان يوفق الجميع لخدمة لغة الضاد عبر تراثها الأصيل ، فان وفقت فقد بلغت مرامي وغايتي وهانت أمامي ما مررت به من صعاب وما ذقت لاجلها من المتاعب وان أخفقت فحسبي أني حاولت وان يكون جهدي هذا صوتا داعيا الى البحث في هذا المجال ومن الله التوفيق.